أنا دوماً معك



تأليف: د. عبير أنور
رسم: مختار



أنا دَوْمًا مَعَك

تأليف: د. عبير أنور
رسم: مختار



رَنَّ المُنَبِّهُ رَنّاتٍ مُتَواصِلَةً مُزْعِجَةً، نَظَرْتُ نَحْوَ الباب، وَلَكِنْ لَمْ يَهْتَمَّ أحَد!

قُلْتُ في نَفْسي: «رُنَّ كَما يَحْلو لَك، فَلَنْ يَهْتَمَّ بِكَ أحَدُ، أنْتَ في هَذا المَنْزِلِ مِثْلي تَمامًا، أتألَّمُ وَلا يَشْعُرُ بِوُجوديَ أحَدُ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِسَبَبِه، فَمُنْذُ رُزِقَتْ أُمّي بِشَقيقي مُهَنَّد، وَهُوَ يَسْتَحْوِذُ اهْتِمامَ كُلِّ مَنْ في هَذا المَنْزِلِ!».

قُلْتُ لِأُمّي يَوْمًا: «لَقَدْ تَغَيَّرْتِ يا أُمّي، أنْتِ لا تُحِبّينَني الآن»!

فَقالَتْ: «أنْتَ حَبيبي يا سَيْف، أنْتَ فَرْحَتي الأولى، أنَسيتَ كَمْ دَلَّلْتُكَ وَأنْتَ صَغير؟ لَكِنَّ مُهَنَّد مَريضٌ مُنْذُ وِلادَتِه، وَمَرَضُهُ يَحْتاجُ مِنّي أنْ أُتابِعَهُ كُلَّ لَحْظَةٍ، سامِحْني يا بُنَيّ».

ثُمَّ اقْتَرَبَتْ مِنّي، وَقَبَّلَتْني، وَقالَت: «أعِدُكَ أنْ أصْطَحِبَكَ الأُسْبوعَ المُقبِلَ إلى السّينِما لِمُشاهَدَةِ الفيلْمِ الَّذي حَدَّثْتَني عَنْه».

فَرِحْتُ كَثيرًا، لَكِنَّها لَمْ تَفِ بِوَعْدِها مَعي بِسَبَبِه، وَتَكَرَّرَ الأمْرُ بَعْدَ ذَلِكَ مَرّاتٍ عَديدَةٍ؛ لِذا، انْزَعَجْتُ مِنْ ذَلِك.

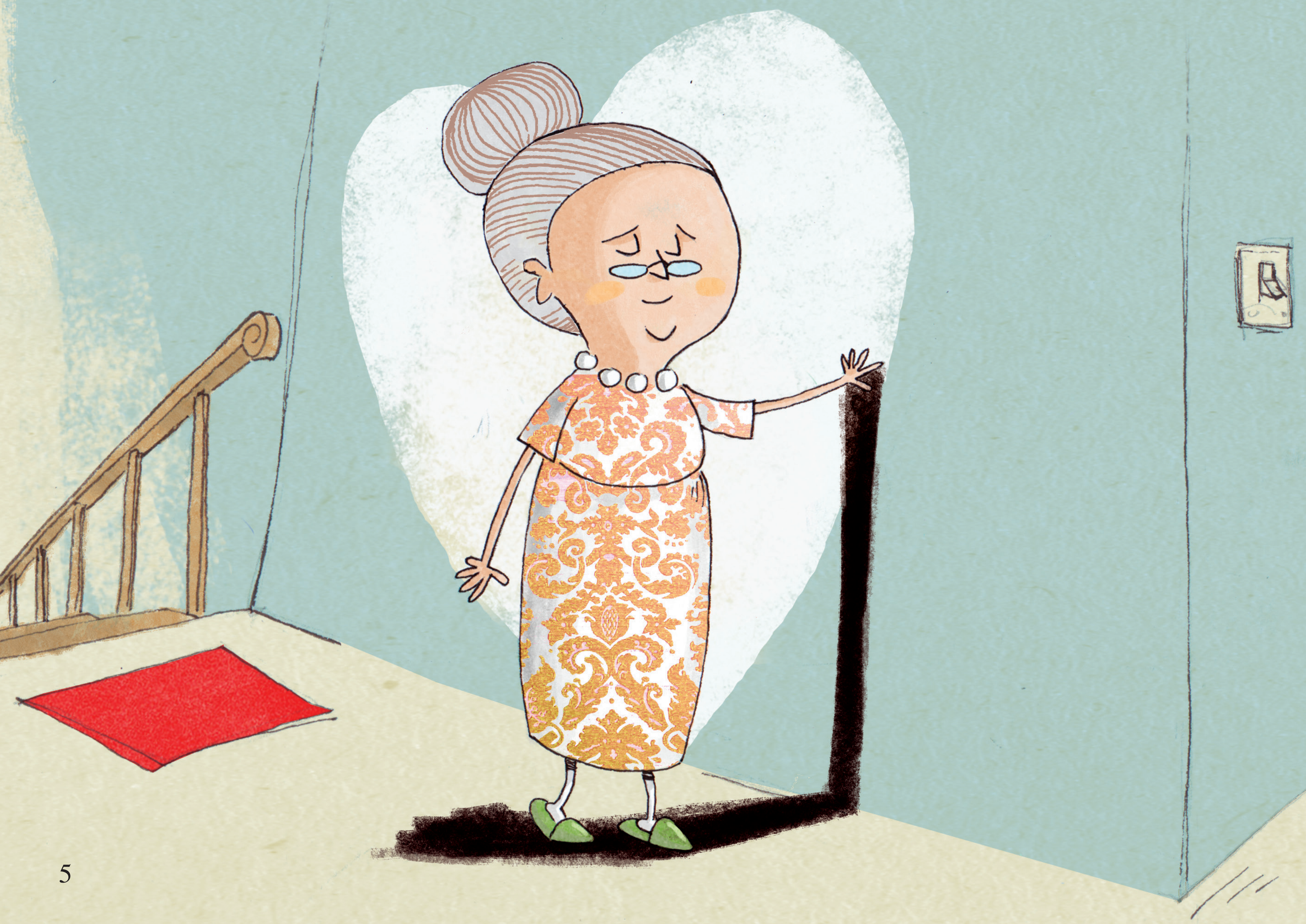
أبي يَذْهَبُ إلى غُرْفَتِهِ أوَّلًا للاطْمِئنانِ عَلَيْه، ثُمَّ يَسْألُ عَنّي، وَأحْيانًا قَدْ يَنْسى.



لَيْلَةَ أمْس، شاهَدْتُ جَدَّتي تَتَّجِهُ نَحْوَ غُرْفَتِه. سَألْتُها: «أحَدَثَ شَيْءٌ يا جَدَّتي؟ هَلْ أنْتِ مَريضَةٌ؟».



فأجابَت: «لَيْتَني كُنْتُ أنا المَريضَةَ بَدَلًا مِنْهُ يا وَلَدي!».
بَدأْتُ أُجَهِّزُ أغْراضي، وَارْتَدَيْتُ مَلابِسي، وَماذا عَنْ طَعامي؟!





مِنْ غُرْفَتِهِ سَمِعْتُ صَوْتَ أُمّي: «لا تَنْسَ طَعامَكَ يا سَيْف».

كِدْتُ أبْكي، أُمَّهاتُ أصْدِقائي يَصْنَعْنَ الطَّعامَ لَهُم، وَأنا أُعِدُّ طَعامي بِنَفْسي.

تَوَجَّهْتُ إلى المَطْبَخ، فَتَحْتُ البَرّاد، وَلَكِنَّني تَراجَعْتُ وَلَنْ آخُذَ شَيْئًا.

وَغادَرْتُ المَنْزِل.

في المَدْرَسَة، اسْتَقْبَلَني أصْدِقائي بِحَفاوَةٍ ما أنْساني حُزْني.

اسْتَمْتَعْتُ بِيَوْمي، تَعَلَّمْت، لَعِبْت، ارْتَفَعَ صَوْتي وَضَحِكْت.

وَعِنْدَما رَنَّ جَرَسُ انْتِهاءِ اليَوْمِ الدِّراسِيّ، وَدَدْتُ لَوْ كانَ بِإمْكاني المَبيتُ في المَدْرَسَة.

عَلى بابِ مَنْزِلِنا، وَقَفَتْ سَيّارَةُ الإسْعاف، وَسْطَ الجيرانِ لَمَحْتُ أُمّي مُنْهارَةً تَمامًا، وَأبي يَبْكي لِلمَرَّةِ الأولى. خِفْت، وَرَكَضْتُ نَحْوَهُما.



قالَ أبي: «إنَّ حالَةَ مُهْنَّد خَطيرَةٌ، سَنَذْهَبُ بِهِ إلى المُسْتَشْفى».

أَلْقَيْتُ نَظْرَةً عَلى أخي داخِلَ سَيّارَةِ الإسْعاف، كانَ غائِبًا عَنِ الوَعي، وَيَبْدو عَلَيْهِ الضَّعْفُ الشَّديد. وَدَدْتُ لَوْ قَبَّلْتُه، لَكِنَّ السّائِقَ سَبَقَني، وَانْطَلَقَ بِهِ بَعيدًا.

عِنْدَما دَخَلْتُ إلى البَيْت، تَوَجَّهْتُ إلى غُرْفَتِه، تَذَكَّرْتُهُ وَهو نائِمٌ في فِراشِه، يَنْظُرُ إلَيَّ نَظَراتٍ دافِئَةً حَزينَةً. لَمْ أتَمالَكْ نَفْسي، بَكيتُ وَشَعَرْتُ بِوِحْدَةٍ شَديدَةٍ.

في الأيّامِ التّالِيَة، نَجَحَتْ خالَتي في مَلْءِ الفَراغِ الَّذي تَرَكَهُ غِيابُ أبي وَأُمّي وَ«مُهَنَّد».

في الصَّباح، كانَتْ تُشْرِفُ عَلَيّ، وَتُعِدُّ لي طَعامي، وَتُوَدِّعُني بِقُبُلاتٍ دافِئَةٍ.





وَفي المَساء، تُشارِكُني دُروسي، وَتَسْمَحُ لي أنْ ألْعَبَ وَأقْفِز، وَأنْ يَعْلُوَ صَوْتي وَأُشاهِدَ التِّلْفاز، وَأرْفَعَ صَوْتَ المِذْياع... ما أجْمَلَ ذَلِك!

عِنْدَما رَنَّ المُنَبِّهُ هذا الصَّباح، هَرَعَتْ خالَتي توقِظُني، فَتَحَتُ عَيْنَيَّ وَنَظَرْتُ إلَيْها.



قالَت: «أَسْرِعْ حَتّى لا تَتَأخَّر».

حاوَلْتُ أنْ أنْهَضَ مِنْ فِراشي، لَكِنَّني عَجِزْت، كُنْتُ أشْعُرُ بِدُوارٍ شَديدٍ، ورَأْسي ثَقيلٌ جِدًّا.

قُلْت: «أنا تَعْبانٌ يا خالَتي».

تَحَسَّسَتْ بِأصابِعِها جَبيني، ثُمَّ قالَت: «حَرارَتُكَ مُرْتَفِعَةٌ».

وَعَلى الفَوْر، اسْتَدْعَتِ الطَّبيبَ الَّذي نَصَحَني بِألّا أغادِرَ الفِراشَ لِأرْبَعَةِ أيّامٍ.

طَوالَ الأيّامِ التّالِيَة، كانَ عَلَيّ اتِّباعُ تَعْليماتِ الطَّبيبِ الكَثيرَة، وَبَدا ذَلِكَ مُمِلًّا: لَنْ تأْكُلَ إلّا الخُضارَ المَسْلوقَة، وَكوبُ الحَليبِ يَجِبُ أنْ يَكونَ ساخِنًا، البَيْضُ مَمْنوعٌ حَتّى لَوْ كُنْتَ تُحِبُّه.

ارْتَدِ مَلابِسَ ثَقيلَةً حَتّى يَتَدَفّأَ صَدْرُك.

نِمْتُ في فِراشي عاجِزًا، وَالجَميعُ يُحيطُني بِرِعايَتِهِ وَحُبِّه. لَكِنَّني لَسْتُ سَعيدًا!





قالَتْ لي جَدَّتي: «كَيْفَ لا تَتَحَمَّلُ أنْ تَنامَ في سريرِكَ أيّامًا قَليلَة، وَمُهَنَّد يَنامُ مَريضًا مُنْذُ سَنَواتٍ؟!».

في هذه الأيّام، شَعَرْتُ بِأخي وَبِمُعاناتِه، فَهو مَحْرومٌ مِنَ الذَّهابِ إلى المَدْرَسَة، وَيَتَلَقّى دُروسَهُ في المَنْزِل، وَمَحْرومٌ مِنَ اللَّعِب؛ لِأنَّ قَلْبَهُ يُجْهَدُ مِنْ أقَلِّ مَجْهود، وَمَحْرومٌ مِنْ تَناوُلِ كَثيرٍ مِنَ الأطْعِمَة؛ لِأنَّها تَضُرُّ بِحالَتِهِ الصِّحِّيَّة.

تَحَسَّنَتْ صِحَّتي تَدْريجِيًّا، وَعُدْتُ إلى مَدْرَستي وَأصْدِقائي. كُنْتُ مُتَشَوِّقًا لِعَوْدَةِ «مُهَنَّد» سالِمًا.

عِنْدَما عُدْتُ مِنَ المَدْرَسَةِ اليَوْم، كانَتْ في انْتِظاري مُفاجأةٌ سارَّة. خَرَجَ أخي مِنَ المُسْتَشْفى.

اسْتَقْبَلْتُهُ بِالقُبُلات، وَجَلَسْتُ عَلى حافَّةِ فِراشِه، أحْكي لَهُ القِصَصَ الَّتي قَرَأْتُها.



نادَتْني أُمّي وَقالَتْ لي: «قَصَّرْتُ مَعَكَ كَثيرًا، سأذْهَبُ أنا وَأنْتَ خِلالَ هَذا الأُسْبوعِ إلى السّينِما».

وَقالَ لي أبي: «سأُخَصِّصُ لَكَ يَوْمَ الجُمُعَة، أنا مِلْكُكَ وَحْدَك، أيُرْضيكَ هذا؟».

في هذه اللَّحَظات، تَذَكَّرْتُ مَرَضي وَعَجْزي، وَلِلمَرَّةِ الأولى أفْهَمُ مَدى مُعاناةِ «مُهَنَّد» وَأبي وَأُمّي.

قُلْتُ لِأُمّي: «لَنْ نَتْرُكَ مُهَنَّد، التِّلْفازُ يَعْرِضُ أفْلامًا جَديدَةً مُتَنَوِّعَةً، سَنُشاهِدُها مَعًا».

وَقُلْتُ لِأبي: «بإمْكانِكَ أنْتَ وَأُمّي أنْ تَسْتَريحا خِلالَ يَوْمِ الجُمُعَة مِنْ عَناءِ الأُسْبوعِ كُلِّه».

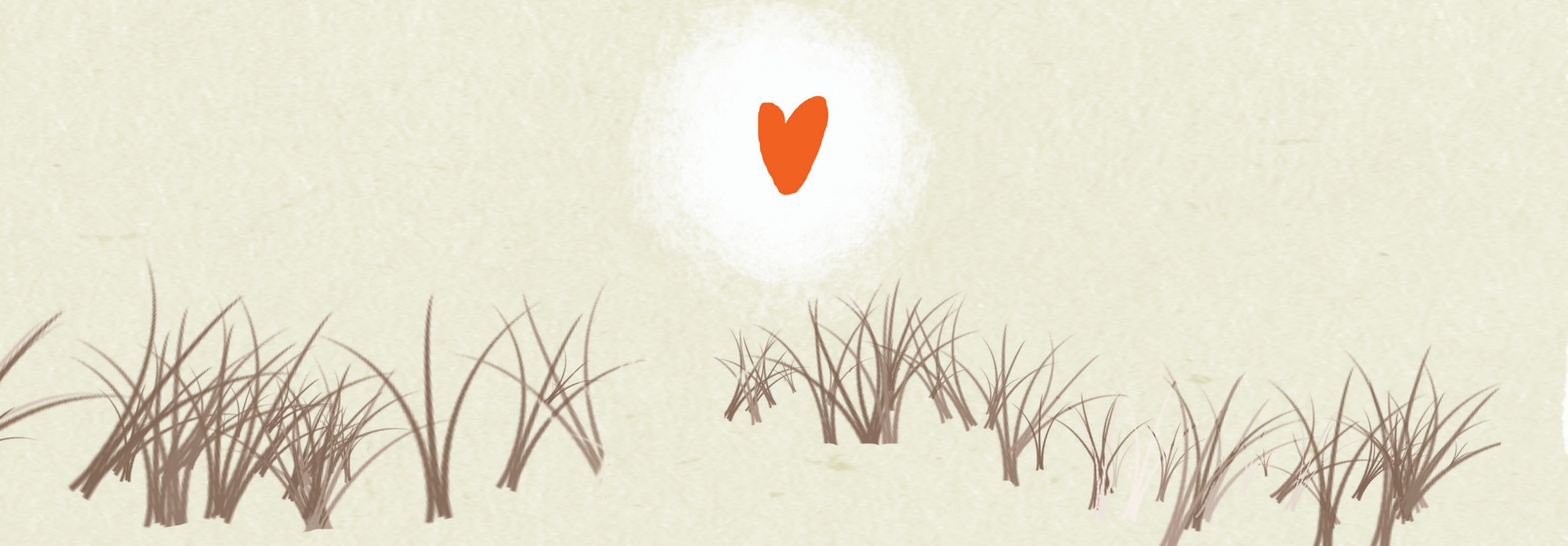
تساءَلَ أبي: «وَسمُهَنَّد، مَنْ يَتَوَلّى أمْرَه؟».

فابْتَسَمْتُ وَقُلْتُ لَه: «شَقيقُهُ الأكْبَرُ طَبْعًا. وَإلى أنْ يُشْفى أخي، سَأكونُ دَوْمًا مَعَه، وَلَنْ أتْرُكَهُ يَشْقى بِمَرَضِهِ وَحيدًا بَعْدَ الآن».





قُلْتُ في نَفْسي: «رُنَّ كَما يَحْلو لَك، فَلَنْ يَهْتَمَّ بِكَ أحَدٌ،
أنْتَ في هَذا المَنْزِلِ مِثْلي تَمامًا، أتألَّمُ وَلا يَشْعُرُ بِوُجوديَ أحَدُ،
وَكُلُّ ذَلِكَ بِسَبَبِه، فَمُنْذُ رُزِقَتْ أُمّي بِشَقيقي مُهَنَّد،
وَهُوَ يَسْتَحْوِذُ اهْتِمامَ كُلِّ مَنْ في هَذا المَنْزِل!».



ISBN 614-402-913-8
9 786144 029138
Book # A 911